

## التنقيبات الأثرية في تل دينيت وجاراته وأهميتها التاريخية

د. شوقي شعث\*

### الموقع وأهميته:

يقع تل دينيت إلى الشرق من مدينة ادلب وعلى بعد خمسة كيلومترات تقريباً وتقوم إلى جواره مزرعة تعرف بمزرعة دينيت، وقرية تحمل اسم قميناس، يصل ادلب بالتل طريق معبد من الدرجة الثانية، ويحيط بالمنطقة أشجار الزيتون والكرمة، ونظراً لتوفر المياه السطحية تتوفر الخضروات الصيفية والشتوية في مزرعة دينيت، ويظهر أن توفر المياه السطحية هذه، ووجود أرض خصبة تحيط بالتل، ومرور وادي أريحا بجوار التل هي التي جذبت الإنسان القديم للتوطن في هذا الموقع واستمر توطئه ردهاً طويلاً من الزمن امتد من العصر الحجري الحديث حتى اليوم.

ترتفع أعلى نقطة في قمة التل عن سطح البحر حوالي 423 متراً وهو يتألف من منطقة مرتفعة تحيط بها منطقة منخفضة ويتدرج انخفاضاً من أعلى نقطة في الجانب الشمالي الغربي حتى الجانب الجنوبي الشرقي

وتحيط به أشجار الزيتون احاطة السوار بالمعصم.

هذا ويتمتع تل دينيت بموقع استراتيجي هام فهو يقع عند عقدة مواصلات بين المناطق الداخلية والمناطق الساحلية وهو يصل خاصة طريق جسر الشغور بداما وكذلك المناطق الشمالية (حلب) بالمناطق الجنوبية (دمشق).

### اكتشاف التل:

تأتي المراجع التاريخية على ذكر التل خاصة المراجع العربية التي تتحدث عن حدوث معركة هامة في العصور الوسطى بين القوات الإفرنجية الصليبية وبين المسلمين ولكن يبدو أن التل الأثري لم يلفت انتباه أحد من الأثريين في الفترة المتأخرة من هذا القرن، إلى أن هطلت الأمطار غزيرة في شهر تشرين الأول من عام 1971 وأحدثت تشققات في سفوح التل ظهرت على أثرها بعض القطع النقدية الفضية من نوع تيترادراخا اليونانية الأثينية التي يعود تاريخها إلى

(\*) مدير التنقيبات الأثرية بتل دينيت. الأمين الرئيس للمتحف الوطني بحلب.

باسم برك الذهب، وهو تل قليل الارتفاع توجد بالقرب منه صهاريج ضخمة قطعت بالصخر واستخدمت لجمع المياه كما عثر بالقرب منه على مدافن أثرية، ومن خلال اللقى السطحية لهذا التل أمكن التعرف على بعض أجزاء الدمى الطينية التي تعود إلى العصر الفارسي، وبعض الكسر الفخارية التي تعود إلى العهود الفارسية والعهود الأقدم.

2 - تل أسفن: يقع هذا التل إلى الشرق من تل دينيت إلى يمين الطريق الدولي الواصل بين حلب واللاذقية وهو تل متوسط الارتفاع له أكروبول لا زالت بقايا الأبنية الأثرية ظاهرة؛ فهناك إعتاب حجرية وتيجان وآبار، وهو غير أسفن الذي ذكره لاسوس في تحرياته للمنطقة الواقعة إلى الشمال الشرقي من حاه.

3 - تل المنبيع (منابع): يقع بالقرب من بلدة سرمين الحالية إلى يمين الطريق الواصل بينها وبين أدلب، عثر على سطحه على بعض الكسر الفخارية التي تعود إلى العصر البرونزي والعصر الحديدي.

4 - تل المسطومة: يقع إلى الغرب من تل دينيت، تقوم منذ عدة أعوام بعثة يابانية بالتنقيب الأثري فيه، وسنأتي على ذكر أهم المكتشفات الأثرية فيه لاحقاً.

5 - تل الشيخ فضل أو تل تار: يقع إلى الشمال من تل دينيت وإلى الشرق من إدلب توجد بعض آثار الأبنية على السطح، كما عثر على سطحه على بعض الكسر الفخارية التي تعود إلى العصر البرونزي القديم / الدور الرابع / وإلى عهود متأخرة -، منها العهد الإسلامي.

6 - قميناس: وتقع إلى الشرق من تل دينيت على

مطلع القرن الخامس قبل الميلاد<sup>(\*)</sup>، وقد عثر صدفة على بعض هذه القطع من قبل أهالي قرية قميناس القرية والذين هبوا زرافات ووجداناً للبحث عن مثل تلك القطع سيما بعد أن عرفوا من تجار العاديات في إدلب وتل منس ويبروت أنها هامة وتباع بأسعار مغرية وعندما ترامي الخبر إلى السلطات المحلية بإدلب عن طريق أهل القرية أنفسهم ممن لم يحرزوا نصيباً من تلك القطع أو ممن يغار على مصلحة الوطن، سارعت إلى منع الحفر السري ولاحتقت المعتدين كما صادرت بعض القطع النقدية، سلمت فيما بعد إلى المتحف الوطني بحلب.

قامت السلطات الأثرية بالكشف على التل وقررت البدء بإجراء إسبار للحصول على مزيد من المعلومات تغني تلك التي يحصل عليها عادة نتيجة الدراسات السطحية فتبين لها أن التل على درجة كبيرة من الأهمية وقررت إجراء إسبار فيه، بعدها تقرر أن تؤلف بعثة أثرية دائمة بإشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف يديرها منذ عام 1971 كاتب المقال، ومنذ ذلك التاريخ والتنقيبات الأثرية تجري سنوياً في تل دينيت الأثري.

### المواقع الأثرية التي تحيط بالتل:

من أجل الوقوف على أهمية المنطقة التي يقع في وسطها تقريباً تل دينيت تاريخياً، قامت البعثة الأثرية العاملة بالتل بإجراء مسح أثري شامل، وقد أمكن التعرف خلال ذلك المسح على عدد كبير من المواقع الأثرية، من أهمها:

1 - تل الصغير وهو يقع غير بعيد إلى الجنوب من تل دينيت ويشرف على السهل الخصب المعروف محلياً

(\*) نشرت بعض هذه القطع من قبل الباحث باللغتين العربية في مجلة الحوليات العربية السورية وبالإنكليزية في مجلة معلومات الشام التي يصدرها المعهد الأثري الألماني بدمشق.

ويذهب اميل كرايلنغ إلى أن موقع دينيت قد يضم مدينة عدينو Adinnu القديمة من العهد الآرامي، التي ترد في النصوص الآشورية في مطلع الألف الأول قبل الميلاد مع غيرها من ممالك المدن الآرامية مثل برغا Barga، أرغانا Argana أشتاكو Ashtamaku (تل المسطومة اليوم).

أما في العهود الكلاسيكية فلم نقف على معلومات نفيد باسمها، وفي العهد البيزنطي تشير المكتشفات الأثرية إلى أنها كانت مركزاً مهماً بدلالة العثور على دير كبير يضم كنيسة، وفي العصر العربي الإسلامي استوطن المكان ولكنه كان عبارة عن قرية صغيرة تحمل اسم دانيت وقد اورد دوسو الاسم على عدة أشكال مثل دانيس Danis ودانيث Danith ودانيت Danit.

خلاصة القول ان التعرف على اسم دينيت في العصور المختلفة مرهون بتقدم التنقيبات الأثرية وتوسعها التي قد تؤدي إلى اكتشاف مزيد من الوثائق.

### تاريخ الموقع (تل دينيت):

كان التاريخ الباكر لمنطقة تل دينيت حتى وقت ليس ببعيد غير واضح تماماً على الرغم من أن الاكتشافات الأثرية التي تمت في العراق وسوريا (ماري والالاخ) أمدتنا ببعض الخطوط العريضة التي تتعلق بالشؤون الحربية والاقتصادية، وقد صورت تلك المكتشفات سوريا، وكأنها منطقة عبور حضاري تقع بين المنطقتين الحضاريتين في مصر وبلاد ما بين النهرين، إلا أن الاكتشافات المثيرة التي تمت مؤخراً في تل مردوخ - ابيلا، من قبل البعثة الأثرية الإيطالية، الذي لا يبعد كثيراً إلى الشرق من تل دينيت فتحت الباب واسعاً أمام الباحثين في العلوم التاريخية لإعادة النظر فيما كتبوه سابقاً حول تاريخ المنطقة. فالوثائق

بعد 500 م تقريباً. أجرت البعثة الأثرية السورية العاملة في تل دينيت تنقيبات أسفرت عن نتائج مهمة. وهناك أيضاً مواقع أخرى مثل تل جرناز، جدار برطاشا، تل كورين، تل بكفلون، جدار النجارة، تل شعبان وغيرها الكثير الذي لا يتسع المجال هنا للتوسع في وصفها، من خلال ذلك المسح تبين أن تل دينيت والمناطق المجاورة له سكنت منذ العصر الحجري الحديث حتى اليوم.

ومن المواقع الأثرية التي تقع إلى الشرق من تل دينيت والتي أظهرت التنقيبات الأثرية أهميتها التاريخية، تل مردوخ - ابيلا، وتل آفس (حزرق)، وتل طوقان، وسنأتي على وصف أهم النتائج الأثرية فيها عند الحديث على أهمية المكتشفات الأثرية في منطقة تل دينيت.

### تحقيق هوية التل الأثري:

نتيجة الدراسات والبحوث والمقارنات ظهر بشكل جلي أن تل دينيت، هو دانيت في العصور الوسطى، وفي هذا الموقع حدثت الموقعة الهامة، التي أسلفنا ذكرها والتي عرفت بموقعة دانيت. أما فيما يتعلق بتحقيق الاسم الذي كان تل دينيت يحمله في العصور القديمة فلا تعرف معلومات أكيدة حول هذا الموضوع وتقوم تلك المعلومات على الافتراض والتخمين.

تذكر نصوص جوديا Godea ملك لاغاش في بلاد ما بين النهرين أنه أحضر الأخشاب لبناء معبد الرب Ningiršu من مدينة اورشو الواقعة في جبال ابلا وحيث أن تل دينيت من التلال الهامة التي تقع إلى الغرب من مدينة ابلا عند الأقدام الشمالية لجبال الزاوية، فيمكن الافتراض أن تكون ابلا هي اورشو (اورشوم)، رغم أن هناك مناقشات كثيرة حول موقع اورشو لا تذهب ما ذهبنا إليه، لكن تلك المناقشات كانت قبل اكتشاف مدينة ابلا في تل مردوخ.

الصليبيون من أخذ حلب وبالتالي معظم المدن الداخلية.

### التنقيبات الأثرية في تل دينيت:

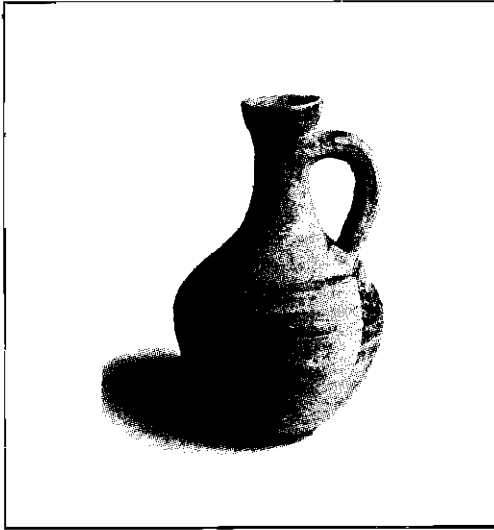
بدأت التنقيبات الأثرية بالتل منذ عام 1971 وهي مستمرة حتى يومنا هذا، وقد شملت هذه التنقيبات عدة مناطق من التل، أولها وأهمها المنطقة المعروفة بالمنطقة (أ) ثم المناطق ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، أكبر هذه المناطق وأكثرها اتساعاً هما المنطقتان أ وهـ، ومن خلال هذه التنقيبات تمكنا من الوصول إلى النتائج:

في المنطقة أ، تمكنا من التعرف على عدة سويات سكنية (من الأعلى إلى الأسفل) سوية هليينية عثرنا فيها على بقايا معمارية عبارة عن أساسات حجرية من الحجر الغشيم وأرضيات مرصوفة بالحجارة، وقد عثر على ما يشبه هذه الأرضيات في تل رفعت بتنقيبات البعثة الانجليزية بإدارة (سيتون وليامز)، كما عثر على

المكتوبة بالخط الاسفيني وبلغة سومرية، وبلغة إبلية عرفت لأول مرة، والتي بلغ عددها، بين رقيم كامل وكسرة رقيم، ما يقارب السبعة عشر ألفاً؛ لقد أكدت تلك الوثائق بما تحويه من أدب ومراسلات سياسية ودينية وتجارية من أن إيبلا كانت مملكة قوية بنفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي ولعل التاريخ السياسي لتل دينيت يرتبط في هذه المرحلة (النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد) بتاريخ مملكة إيبلا رغم أننا لم نعثر بعد على مخلفات حضارية تعود لتلك الفترة بتل دينيت بشكل واسع.

عندما انهارت الامبراطورية الأكادية ومن بعدها امبراطورية سلاله أور الثالثة عادت المنطقة لتأخذ دورها السياسي بزعامة مملكة يحاض العمورية التي كانت إيبلا وتل دينيت تشكل جزءاً هاماً منها، وظل الأمر على حاله من الانتعاش حتى تمكن الحثيون من تدمير يحاض والألاخ وإيبلا وبالطبع تل دينيت وبابل، حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد.

تظهر في مطلع الألف الأول قبل الميلاد ممالك آرامية من أنقاض الدمار الذي أوقعته شعوب البحر في الممالك السورية في مطلع القرن الثاني عشر ومن المعتقد أن تل دينيت والمسطومة وتل آفس وغيرها من الممالك، كانت من بين تلك الممالك الآرامية، وقد ألمحنا سابقاً إلى أنه من المحتمل أن يكون تل دينيت في ذلك العصر هو عدينو Adinnu، وستحدثنا نتائج التنقيبات الأثرية عن أهمية تل دينيت في العصر الفارسي الأخميني والعصر الهلينيستي ثم العصر البيزنطي والعصر العربي الإسلامي. هذا وجدير بالذكر أن تل دينيت لعب دوراً هاماً في عصر الحروب الإفرنجية الصليبية والعربية الإسلامية وقد شهدت سهوله ملاحم بطولية سطرها العرب المسلمون. فلولا وقوفهم في سهول دانيث وقفة صامدة لتمكن الإفرنج



واحدة من القطع الأثرية الفخارية المكتشفة في تل دينيت المنطقة (أ) العهد الهليني.

عمود تشبه تلك التي عثر عليها في فينيقيا في العصر الفارسي خاصة في مدينة صور.

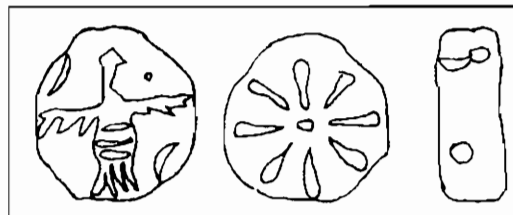
وفي السوية الثالثة، إلى جانب العمارة التي بنيت أساساتها من الحجر الغشيم، عثر على كسر فخارية وختم هرمي الشكل مثقوب من الأعلى للتعليق، عليه مشهد ربما كان يمثل طيراً وقد يعود هذا الختم إلى العصر البابلي الحديث أو العصر الآشوري المتأخر.

وفي السوية الرابعة عثر على إناء فخاري، يشبه أواني الطبخ، ذي قاعدة محدبة وله عروتان صغيرتان نسبياً وشفة منبسطة، ربما كان هذا الإناء من صنع محلي وأقرب النماذج شبهاً له، هي تلك الأواني التي عثر عليها في تل الدوير (لاكيش) وتل القدح (حازور) في الطبقة السابعة، وتعيدها أميران R. Amiran إلى العصر الحديدي الثاني، أي إلى الفترة ما بين (800 - 587 ق.م.). وفي نفس السوية وجدت كسر فخارية لجرار كبيرة مصنوعة من الفخار السميك كانت تستعمل لحفظ المياه أو للخزن.

يلاحظ في هذه السوية وجود طبقة سميكة من الرماد، وقد يكون من الممكن أن المدينة تعرضت في هذه السوية من حياتها إلى تدمير قاسٍ يعتقد أن الذي سببه ما قام به سرجون الثاني الآشوري في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد؛ وإلى هذا الحد توقفت تنقيباتنا في هذه المنطقة.

لم نعثر في المناطق ب، جـ، د، علىلقى غربية تختلف عن تلك التي عثرنا عليها في المنطقة (أ) إلا بقايا بناء مؤلف من الكتل الحجرية الضخمة في المنطقة (د)، وكذلك على أبنية متأخرة مبنية من الحجارة الضخمة المسوّاة التي يعتقد أنها تعود إلى مباني من العصور الوسطى، كما عثر هنا على فخار أتيكي حراوي يشبه الفخار الذي عثر عليه في المنطقة (أ)، خاصة الفخاري الأتيكي الأسود، من حيث الصنعة.

فخار من صنع محلي كان شائعاً في العهد الهليني في منطقة العمق والمناطق المجاورة، وفي أحد جدران السوية الهلينية عثر على وزنة رصاصية عليها كتابة يونانية تشير أن هذه الوزنة مطابقة للشروط التي وضعها مجلس المدينة ولم يعرف فيما إذا كانت تلك المدينة هي مدينة تل دينيت أم مدينة أخرى لأن الوزنة لم توجد في مكانها الأصلي حسب اعتقادنا. هذا إلى جانب مجموعة من الدمى الطينية والأختام المسطحة. ويعتقد الباحث أنها جاءت من سويات أقدم من سوية العهد الهليني، حيث أن الدمى المتنوعة التي عثر عليها هنا استمر العثور عليها في السويات الأقدم في نفس الموقع وفي المواقع الأثرية الأخرى، فقد عثر على مثيلات تلك الدمى في مواقع النيرب، وتل مردوخ، وتل رفعت، وخان شيخون، وتل حلف وغيرها من المواقع المنتشرة في شمال سورية، كما عثر على مثيلات للأختام المسطحة التي عثر عليها في السويات الهلينية هنا في مواقع سهل العمق وتل مردوخ.



رسوم لبعض الاختام المكتشفة في تل دينيت

في السوية الفارسية الأخمينية، تم العثور على مجموعة من الدمى الطينية من النوع المعروف بالدمى الخيالة والدمى الطينية العارية أو المتدثرة أو تلك التي ترفع ثدييها، كما عثر على ختم مسطح عليه شعار (أهورامزدا Ahuramazda) الرب الفارسي، ومن الأشياء الهامة التي عثر عليها في هذه السوية قاعدة

بإعادة فحص نتائج هذا السبر إضافة إلى استكمال التنقيبات الأثرية للوصول إلى التربة العذراء، يمكننا من الوصول إلى تصور شامل للطبقات السكنية فيه.

عثر في المنطقة «ز» على بقايا الأبنية العربية الإسلامية المتأخرة وبقايا أوان فخارية وبقايا ساحقات حبوب وغيرها من البقايا البسيطة التي لا تشير إلى غنى واضح، ويعتقد أن التل في هذه المنطقة سكن في وقت معاصر للسوية الأولى في المنطقة «هـ» أو في وقت متأخر عنها وتقع هذه المنطقة في أقصى الطرف الجنوبي من التل.

وعثر في المنطقة (ح) التي تقع إلى الشمال من التل مع انحراف قليل نحو الشرق على بقايا جدار ضخيم بني بالحجارة الغشيمة وكذلك بقايا جدران وكسر فخارية وحيث أن هذه المنطقة بوشر العمل فيها في نهاية موسم عام 1986 لم تتمكن من فحصها فحصاً متأنياً إلا أن المعطيات الأولية تشير إلى أن اللقى ربما تعود إلى العصر الحديدي المتأخر.

استعرضنا أعمال التنقيب الأثري في تل دينيت أعلاه، تسلسلاً وفق تاريخ العمل في المناطق ومن خلال ما أسلفنا يمكن أن نتصور أن التل سكن من العصر البرونزي القديم حتى العصور العربية المتأخرة مع غياب بعض العصور مثل العصر الروماني الذي يعتقد أن الناس فيه قد سكنوا مكاناً آخر كما لاحظنا أن هناك فترات هجر مَرَّ فيها التل خاصة تلك التي جاءت بعد العصر البيزنطي مباشرة.

### التنقيبات الأثرية في المواقع المحيطة بتل

دينيت:

غير بعيد عن التل الأثري نحو الشرق توجد مستوطنة تعود إلى العهد الحجري الحديث هي

هذا إلى جانب لقي كثيرة عثر عليها في المناطق المشار إليها والتي لا نرى موجباً للدخول في تفصيلاتها هنا.

عثر في المنطقة هـ، حيث توسعت تنقيباتنا هنا، على بقايا أبنية إسلامية استخدمت في بنائها بقايا الأبنية السابقة عهداً لها، كما عثر على أوان فخارية خشنة لكنها ملونة وربما تعود هذه السوية إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي بدلالة الفخار المكتشف هنا، وفي السوية الثانية في هذه المنطقة عثر على مركب معماري ضخم مؤلف من عدة أبنية رصفت بعض قاعاته بالفسيفساء العادية أو الفسيفساء الملونة، ومن أهم المباني التي عثر عليها هنا في هذا المركب المعماري كنيسة تشير البقايا المعمارية، خاصة قواعد الأعمدة المكتشفة وتاج العمود الذي ظهر خلال التنقيبات والفسيفساء إلى أن طراز العمارة ربما يعود إلى القرن الخامس أو القرن السادس الميلادي، وإن صح ذلك فتكون كنيسة أول كنيسة تكتشف في المنطقة السهلية، ومن هنا تأتي أهميتها.

وما يتقدم يتضح أن التل في هذه المنطقة هجر بعد العهد البيزنطي فترة طويلة امتدت من القرن السادس حتى الثاني عشر الميلادي، سكن بعدها من قبل أناس فقراء بدلالة مخلفاتهم التي عثرنا عليها وطبيعة مساكنهم.

وعثر في المنطقة «و» التي هي عبارة عن سبر مدرج بدأ من سطح التل وانتهى عند قدم التل تقريباً، ومع أننا لم نصل إلى غايتنا المنشودة هنا وهي الوصول إلى التربة العذراء لتتمكن من تكوين فكرة عن الطبقات السكنية في التل، إلا أنه أمكننا، من خلال هذا السبر المدرج، التعرف على سويات إضافية جديدة؛ فقد أمكننا التعرف هنا من خلال العمارة والفخار على سوية العصر البرونزي الحديث والوسيط وسوية العصر البرونزي القديم / الدور الرابع، وإن القيام

الموضع لتوسع في المنطقة التي أشرنا إليها. هذا وتوجد بقايا معمارية (تيجان أعمدة) من العهد البيزنطي في أزقة القرية الحديثة التي تحيط بالتل.

والجدير بالذكر أنه في مطلع هذا القرن، عثر صدفه في قرية المسطومة على كنز من النقود الفضية نقلت إلى متحف استانبول، حيث كانت سوريا آنذاك (حوالي 1906) مقاطعة عثمانية، ونعتقد أن كنز المسطومة لا يزال محفوظاً في متحف استانبول.

تحدثت المصادر التاريخية عن اشتاماكو Ashtamaku (المسطومة حالياً) فقد ورد ذكرها في حملة من حملات شلما نصر الثالث عام 849 ق.م. على دمشق، فيذكر أنه في طريقه إلى دمشق احتل مدينة اشتاماكو التي كانت تابعة لمملكة حماه آنذاك، ويذكر أستور Astour نقلاً عن دوسو ولوكنبيل أن المسطومة الحالية هي اشتاماكو وشتوما Stuma.

عموماً يمكن القول أن التنقيبات الأثرية في تل المسطومة في الفترة ما بين 1980 - 1986 أضافت اللثام عن نتائج طيبة ومشجعة لتنقيبات مستقبلية في عام 1988.

ومن التنقيبات الأثرية الهامة التي جرت في منطقة دينيت تنقيبات تل مردوخ / ايبلا/. يقع هذا التل إلى الجنوب من حلب بمسافة 55 كم تقريباً، بالقرب من بلدة سراقب. بدأت أعمال التنقيب الأثري فيه من قبل بعثة أثرية إيطالية تابعة لجامعة روما عام 1964، وهي تباير عليه سنوياً حتى يومنا هذا.

تمكنت البعثة من خلال التنقيبات الأثرية التي قامت بها في التل والتي كان أهمها منطقة القصر G، ومنطقة القصر (Q) من أن تميز عدة سويات سكنية تمتد ما بين عام 3500 ق.م. حتى عام 60 ق.م، قسمتها إلى عدة مراحل أطلقت عليها، مردوخ 1 حتى مردوخ 7.

مستوطنة قميناس، وقد أشرنا سابقاً إلى قيام أعمال تنقيب من قبل البعثة الأثرية العاملة في تل دينيت بمساعدة بعض عناصر البعثة الأثرية اليابانية التي تعمل في تل المسطومة وقد أسفرت التنقيبات عن نتائج هامة دلت على أن المنطقة استوطنت في الألف السادسة قبل الميلاد، وعثر هنا على بقايا معمارية وفخار مصقول حمرائي وسوداوي وفخار مزين بواسطة الحز.

وإلى الغرب من تل دينيت قامت البعثة الأثرية اليابانية بتنقيبات أثرية في التل المعروف بتل المسطومة الذي يعتقد أنه كان يضم مدينة «اشتامكو» في العصر الحديدي، ومدينة شتوما في العصر الكلاسيكي، يبلغ قطر التل حوالي 200م، وارتفاعه عن سطح البحر 478,5م ويبعد خمسة كيلومترات عن ادلب بجوار الطريق الذاهب إلى اربحا.

قامت البعثة الأثرية المنوه عنها بتنقيبات واسعة منذ خريف عام 1980 حتى اليوم، بدأتها بسير مدرج في السفح الشمالي من التل ومن خلال ذلك السير، أمكن التعرف على سويات التل السكنية وهي عبارة عن سبع سويات، الأولى تعود إلى العصر الحديدي، والثانية والثالثة والرابعة والخامسة تعود إلى العهد البرونزي الحديث والوسيط، أما السويات السادسة والسابعة فتعود إلى العصر البرونزي القديم؛ وقد ضمت تلك السويات بقايا معمارية بنيت جدرانها من الطين المجفف بالشمس ذات أساسات حجرية، ودمي، وأختام، وكسر فخارية عادية وملونة، وتوسع هذا السير عند سطح التل توسعاً ملحوظاً وقد أظهرت التنقيبات هنا مباني وأزقة وجراً فخارية كبيرة للخبز ولقى أخرى يعتقد أنها تعود إلى العصر الحديدي أيضاً، وإلى الجنوب من التل قامت البعثة بإجراء سبر صغير أظهرت التنقيبات هناك بقايا أبنية ضخمة، وتوقفت بعد ذلك أعمال التنقيب في هذا

وأعيد تحصينها بتحصينات يبلغ ارتفاعها حوالي 20 م على طول الطرف الشرقي، وكانت إيبلا في هذه الفترة تضم التحقيقات التي تحدثنا عنها وأربعة أبواب وربضاً يحيط بالأكروبول كالسوار، كل هذه شكل الطوبوغرافيا العمرانية لمدينة إيبلا في هذا العصر، كما أقيم في هذه الفترة القصر الملكي الغربي (Q) في المدينة المنخفضة، كما بُنيت المعابد الرئيسية لإيبلا في هذه الفترة، ومن تلك المعابد المعبد D الذي أقيم للربة عشتار، والمعبد B 1 لعبادة الرب رشف، سيد الحرب، والمعبد N لعبادة الرب شمش، ويعتقد أن إيبلا كانت في هذه الفترة أقوى من مدينة حماه وحلب وتربطها روابط قوية مع مدن الأناضول وفلسطين.

انتقلت السيطرة السياسية على المنطقة في الفترة ما بين / 1800 - 1600 ق.م. (مردوخ IIIB) من إيبلا إلى يحاحض / حلب التي كان يحكمها ياريم ليم، وأصبحت إيبلا مملكة تابعة ليحاحض، وإلى هذه الفترة تعود البيوت الخاصة التي عثر عليها في المدينة المنخفضة المنطقة (B) وبوابة المدينة A والمعبد B2 الذي كرس لعبادة الأسلاف الملكية، أما القصر الملكي E الذي بني في الطرف الشمالي من الأكروبول فقد أقيم فوق التحصينات الشرقية.

ومن اللقى النادرة والمثيرة التي عثر عليها في تل مردوخ - إيبلا، المقبرة الملكية التي تعود إلى الفترة ما بين 1800 - 1650 ق.م. تحت أرضية القصر الغربي (Q) فقد عثر على مجموعة من الحلبي الذهبية النفيسة والصولجان ذو الرأس العاجي والمقبض المصقّص والمذهب.

دمرت إيبلا في نهاية الفترة 1650 - 1600 ق.م. مرة أخرى وترافق ذلك التدمير مع تدمير الآلاخ / تل عطشانة (السوية السابعة) على يد الحثين، ربما في عهد حاتوشيل الأول أو مورشيل الأول، فتذكر النصوص التاريخية أن حاتوشيل الأول دمر آلاخ

إن أقدم سكن عثر عليه في تل مردوخ، لا بد أن يعود إلى نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد فقد عثر على بعض اللقى التي يمكن إعادتها إلى المرحلة الأولى في (تل مردوخ M I) أي إلى الفترة ما بين 3500 - 2900 ق.م، وأصبح السكن أكثر كثافة ووضوحاً في الفترة اللاحقة، (مردوخ IIA) (2900 - 2350 ق.م.)، فقد عثر على بقايا الاستيطان، التي تعود إلى هذه الفترة في المنطقة الجنوبية من الأكروبول، وربما كانت تلك الأبنية عبارة عن مراكز لمراقبة الطرق التجارية في منطقة تشغل بتبادل سلع كالخشب والنحاس والفضة المستوردة من الساحل السوري وجبال الأمانوس وجبال طوروس.

بلغت إيبلا في المرحلة الثانية من هذه الفترة مرحلة منظورة (مردوخ II B1) في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية، وقد توسعت المدينة لتصل مساحتها إلى حوالي خمسين هكتاراً، ومن أهم المباني المعمارية التي عثر عليها في هذه المرحلة القصر الملكي الكبير الذي أقيم فوق الأكروبول، بما فيها سفوحه الجنوبية والغربية، ومما يدل على علاقاتها التجارية الدولية، هو العثور على كمية يصل وزنها حوالي 20 كغم من اللازورد المستورد من أفغانستان، وبعض الكسر الغرانيئية المستوردة من مصر.

من أهم ما اكتشف في القصر (G) والذي يعود إلى هذه الفترة، المحفوظات الملكية. وبعد تدمير إيبلا حوالي عام 2250 ق.م. على يد الأكاديين فقدت المدينة أهميتها السياسية والاقتصادية (2250 - 1900 ق.م.) وأعيد بناء المدن على نطاق مستوطنة صغيرة وفقيرة، وانتقلت الأهمية السياسية إلى مدينة أورشو (تل طوقان اليوم!!) التي لا تبعد كثيراً عن مدينة إيبلا.

ونجد في نهاية هذه الفترة ان مملكة عمورية قد أسست في تل مردوخ، كانت تابعة إلى يحاحض،





تل ديبنت - جزء من دمية طينية - العصر الفارسي المنطقة (أ)

وهناك التنقيبات الأثرية في تل طوقان، الذي يقع إلى الشمال الشرقي من إيبلا - تل مردوخ. قامت البعثة الإيطالية التابعة لجامعة روما بإجراء أسبار أثرية خلال الأعوام 1978، 1981، 1986 وقد أظهرت تلك الأسبار أن مدينة هامة، بالمقارنة مع إيبلا، كانت تقوم في ذلك الموقع؛ ويعتقد أن تلك المدينة كانت أورشو Urshu التي ورد ذكرها في الوثائق المسارية بأنها أهم مدينة في منطقة إيبلا والتي ربما أخذت دور إيبلا بعد التدمير الهائل الذي لحق بها (أي بإيبلا) من قبل ملوك أكاد، نحو 2300 ق.م. وظلت خلال الألف الثانية قبل الميلاد مملكة تابعة لمملكة يمحاض (حلب) قبل أن يدمرها مع حلب وغيرها من الممالك حليفات حلب الملك الحثي حاتوشيل الأول Hat-tushil I في القرن السادس عشر قبل الميلاد.

أظهرت تلك الأسبار قلعة المدينة والتحصينات والمدينة المنخفضة. يمكن القول أننا نعرفنا على ثلاثة أبواب من أبواب المدينة بشكل جيد، بالإضافة إلى

وأورشو وحلب وبعد ذلك قام بتدمير بابل عام 1595 ق.م. في نفس الهجوم كما تذكر النصوص.

اقتصر الاستيطان في إيبلا/ تل مردوخ/ بعد هذه الفترة على المنطقة المرتفعة (الأكروبول) حيث هجرت المنطقة المنخفضة. وقبل عام 1450 ق.م. مر الجيش المصري بقيادة تحتمس الثالث بالقرب من إيبلا، وقد ورد ذكر المدينة في قائمة المدن التي دُونها على جدران معبد الكرنك وهي المدن التي احتلها أو مرّ فيها بحملته على سوريا وفلسطين والتي بلغ عددها ما يزيد عن الثلاثمائة مدينة.

أصبح الموقع في العصر الحديدي (900 - 535 ق.م.) أي في الفترة الأرشية والآشورية الحديثة والبابلية الحديثة (الكلدانية) عبارة عن مدينة فقيرة ذات تحصينات فقيرة لا تزال آثارها موجودة في الجانب الغربي والشمالي من الأكروبول.

ونلاحظ في العصر الفارسي الأخميني والهليسي أنه جرى إحياء المستوطنات الريفية في سورية، فقد قامت في الطرف الشمالي من الأكروبول مساكن صغيرة ريفية (المنطقة E) وعلى منحدراته؛ وتشير التنقيبات الأثرية إلى أن التل هجر تماماً في القرن الثاني قبل الميلاد أما في العصر الروماني المتأخر والعصر البيزنطي فقد قامت فوق الموقع مستوطنة ديرية فقيرة عند الطرف الغربي من الأكروبول.

• أهمية التنقيبات الأثرية في إيبلا تكمن، أولاً، في أنها أعطتنا صورة واضحة الثقافة في فجر الدور السوري (نهاية الألف الثالث قبل الميلاد)، ثانياً، أعطتنا صورة عن التطور التاريخي المستمر في سوريا الداخلية فقد أمكن عن طريق تلك التنقيبات أن نميز عناصر الاستمرار من خلال الفكر والدين والاقتصاد والفن والعمارة التي سبق أن كانت مجهولة في المرحلة السابقة للعصر الهليسي في سوريا.

1972، 1978 وقد أظهرت وجود سويات عميقة تعود إلى العصر الحديدي الثاني والثالث كما أشارت إلى وجود بناء من نوع بيت هيلاني دمره الآشوريون.

ساعدت التنقيبات الأثرية في عامي 76 و1987م في المنطقة المنخفضة على الحصول على صورة واضحة للطبقات السكنية التي تعود إلى المرحلة الأخيرة من العصر الحديدي الثاني في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد، والعصر الحديدي الثالث من القرن السابع قبل الميلاد وحتى الآن أمكن التعرف على مجموعة من المباني السكنية الخاصة وبناء مركزي وقد رمت وأعيد بناؤها عدة مرات في عدة سويات في هذه الفترة.

يمكن تأريخ المرحلة الرئيسية من البناء المركزي الذي سبق ذكره (السوية الرابعة) بشكل مبدئي بإعادته إلى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد بعد تدمير المدينة على يد الآشوريين، يغطي البناء بالواقع مساحة تبلغ أطوالها 30 × 25م بنيت مباشرة فوق جدران أكبر من بناء مشابه على آثار حريق، ويمكن أن يكون لهذا علاقة بالتدمير الذي حدث في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، عموماً، إن البناء في المرحلة الرئيسية من تطوره يضم على الأقل ثلاث غرف للخزن، بها جرار لا تزال في مكانها، وساحة مركزية وعشرة غرف أخرى بعضها كبير وبعضها الآخر صغير.

وفياً يتعلق بالفخار الذي يعود إلى السوية الرابعة فقد عثر على بعض الكسر من الفخار المستورد المفيد للتأريخ، فهناك كسرة من الفخار الكليكي الأبيض المدهون (العصر الحديدي الوسيط المرحلة الأولى طرسوس) والفخار الأسود المصقول التي تعود أصوله إلى كليكيّا، أما فيما يتعلق بالفخار المحلي فهو السائد وهو على عدة أنواع عثر على فخار مشابه له في سوريا وهي منتجة محلياً كالدمى الفخارية الأدمية ودمى

الدفاعات والتحصينات والأبراج المستديرة في المدينة المنخفضة المبنية من الطين المدكوك، كما عثر على بناء كبير في المدينة المنخفضة ربما تكون له صفة بناء عام (بناء رسمي) ولكن لا زالت وظيفته مجهولة.

يمكن القول عموماً أن تل طوقان كان يضم مدينة كبيرة، بعد تدمير ايبلا مباشرة في فجر التاريخ السوري، من قبل ملوك أكاد عام 2300ق.م. وانتهت نهائياً بتدميرها عام 1650ق.م. قبل تدمير مملكة ايبلا العمورية بقليل على يد الحثيين كما أسلفنا.

وبناء على ما تقدم يمكن أن نعزّز الافتراض القائل أن مدينة أورشو القديمة كانت تقوم في تل طوقان، وبعد عام 1650ق.م. تسكت المصادر عن ذكر أورشو وعن ذكر بلاد ايبلا.

ومن التنقيبات الأثرية الهامة التي قامت في جوار تل دينيت، تنقيبات تل آفس Afis وهو تل كبير تبلغ أطواله 570 × 500م ويتميز بأن له اكروبولاً موضعه في الجانب الشمالي من التل بالقرب من السور الخارجي وله مدينة منخفضة تمتد على وجه الخصوص نحو الطرف الجنوبي، أما من حيث الحجم والمظهر فهو يشبه تل طعينات في لواء الاسكندرون، ومن حيث الموقع فهو يقع في موضع استراتيجي يجمع بين المنطقة الزراعية والموقع المشرف المسيطر على الطريق المؤدي من منطقة حلب إلى منطقة العمق.

طابق بعض الباحثين الموقع بمدينة حزرَق Hazrek التي كانت عاصمة في أواخر القرن التاسع والثامن قبل الميلاد لمملكة حماه ولعاش الأرامية. وقد ورد ذكر اسم حزرَق مع اسم ملكها زكُور (زاكبر في بعض المراجع الأخرى) على نصب بازلتي عثر عليه في تل آفس وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس.

جرت الاسبار الأولى في القلعة في الأعوام 1970،

حيوانية مزينة بواسطة أشرطة أو أزرار طينية ملصقة،  
علب من حجر السيتاتيت وإناء تقدمات وغيرها.

أمكن تمييز ستة سويات سكنية، حتى الآن، (من  
الأعلى إلى الأسفل) أي حتى مطلع القرن الثامن قبل  
الميلاد وسيتابع مستقبلاً التنقيب الأثري في السويات  
الأقدم، حسب المعلومات التي أفادت بها رئيسة البعثة  
الأثرية الإيطالية التي تعمل في التنقيب الأثري بالتل.  
الدكتورة ستيفانيا مازوني من جامعة بيزا. هذا وتركز  
العمل في عام 1987 في المنطقة الجنوبية وهي المنطقة  
التي عملت فيها البعثة العام الماضي.

ومن أهم المصادر المكتوبة التي يمكن الاعتماد عليها  
في هذه الفترة (نصب زكير) المسمى بملك حماة ولعاش  
وهو يعطي صورة عن العلاقات بين الممالك الآرامية،  
وعن الحياة السياسية بالمنطقة خاصة في نهاية القرن  
التاسع ومطلع القرن الثامن قبل الميلاد، ومن خلال  
الأحداث التي يتحدث عنها نصب زكير هذا، والتي  
يحتمل أنها تعود إلى فترة حكم أداد نيراري الثالث  
(811 - 782 ق.م.). تبين أن الممالك الآرامية شكلت  
حلفاً ضد زكير الذي كان يقيم في حزرق (تل  
آفس؟) بزعامة ملك دمشق الآرامي «بن حدة» وملك  
أرباد (تل رفعت؟) وغيرهم، ولكن زكير استطاع أن  
يهزمهم جميعاً بمساعدة الآشوريين، ويظل الصراع قائماً  
بين الآراميين من جهة والآشوريين من جهة أخرى،  
وفي النهاية، يتمكن الآشوريون من إخضاع المنطقة  
وتنصيب حكام آشوريين يتلقون أوامره من  
العاصمة الآشورية.

عرضنا نتائج التنقيبات الأثرية، في الصفحات  
الماضية، في تل دينيت وتل مردوخ إيبلا وآفس  
والمسطومة وتل طوقان وقميناس، وتبين من نتائج  
تلك التنقيبات أن سوريا الداخلية، وخاصة المنطقة  
التي تمتد من سهل الغاب غرباً حتى وادي الفرات  
شرقاً ومن جبال طوروس شمالاً حتى حمص جنوباً،

كانت منطقة حضارية منذ الألف السادسة حتى  
العصور الإسلامية المتأخرة، فإذا أضفنا إلى نتائج  
التنقيبات التي تحدثنا عنها النتائج التي حصل عليها  
المنقبون الأثريون في حماه، والمشرق (قطنه)، والنبي  
مند (قادش) وخان شيخون وتل عاص وقلعة  
المضيق، تكون الصورة الحضارية قد اكتملت  
وظهرت فيها جميع عناصر مكونات الحضارة وأدوارها  
التاريخية ومما زاد الصورة وضوحاً هو الاكتشافات  
الحديثة المثيرة في تل مردوخ وتل طوقان وقميناس وتل  
دينيت وتل آفس وتل المسطومة، والأكثر إثارة هو  
اللوحات الطينية التي اكتشفت في تل مردوخ / إيبلا  
التي أماطت اللثام عن الدور الحضاري والسياسي  
والثقافي لسوريا الداخلية وبالتالي سورية الطبيعية /  
بلاد الشام، الذي كان رائداً في عصره، وبذلك  
وجب على المؤرخين إعادة النظر فيما كتبه عن سوريا  
سابقاً في ضوء ما أمدتنا به الاكتشافات المنوّه عنها  
أعلاه، والتي قد يكون من الأفضل التفصيل فيها من  
مكان آخر، وملخصه أن سوريا بتلك الاكتشافات،  
تأكد أنها منطقة خلق وإبداع حضاري.

كذلك كشفت نتائج تلك التنقيبات عن العلاقات  
الحضارية مع فلسطين ومصر وبلاد ما بين النهرين  
والأناضول وبلاد الجزر اليونانية وذلك من خلال ما  
عثر عليه من فخار، في تل آفس ودينيت يتشابه مع  
فخار فلسطين والعمق وما عثر عليه في موقع قميناس  
من فخار يتشابه مع فخار العمق ورأس شمرا،  
وكذلك في تل مردوخ / إيبلا.

أما عن العلاقات التجارية فقد عرفنا عن طريق  
المكتشفات أن تجارة النحاس مع الجزر اليونانية وبلاد  
ما بين النهرين عبر إيبلا كانت رائجة وكذلك تجارة  
اللازورد التي اكتشف منه كميات لا بأس بها في  
القصر الملكي إيبلا والتي كانت تأتي من أفغانستان في  
الغالب.

وغيرها. وموجوداتها إلى تطور صناعة النسيج بدلالة ما اكتشف من أدوات نسيجية، وإلى غنى مقبول يظهر بوضوح في المركب المعماري الذي يعود إلى العصر البيزنطي السائد في مناطق جبل باريشا والأعلى والخص خاصة فيما يعرف بالمدن المهجورة، وهناك الفخار الإسلامي الملون وكذلك الخزف المتعدد الألوان والمتقن الصنعة.

خلاصة القول أن التنقيبات الأثرية، التي جرت في مساحة تعتبر جزءاً من محافظة ادلب، تشير إلى استمرار الحياة الحضرية فيها منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا وإن مزيداً من التنقيبات الأثرية في المواقع الأثرية المنتشرة في المنطقة ستغني ولا شك معرفتنا التاريخية الحالية وستساعد على إعطائنا صورة أكثر شمولاً عن الحضارة في سورية خاصة سوريا الداخلية وعن طبيعة الأفاق الثقافية لتلك الحضارة والمؤثرات الأجنبية عليها التي يجد المؤرخون ضالّتهم فيها من أجل كتابة تاريخ سوريا منذ الألف الثالثة حتى العصور العربية الإسلامية المتأخرة.

أما العلاقات الثقافية من بلاد ما بين النهرين وسوريا الداخلية فقد كانت نشطة وقد أكدت الاكتشافات الأثرية في بلاد ما بين النهرين وسوريا الداخلية، خاصة ايبلا، تلك العلاقات.

وفي العصر العموري (مطلع الألف الثانية قبل الميلاد) تأكد لنا الازدهار الاقتصادي والفني، وتشير إلى ذلك بوضوح عمارة القصر الملكي في ايبلا والالاخ والبقايا المعمارية في تل طوقان ومحتويات المقبرة الملكية في ايبلا، وتؤكد الأخيرة، بما تضمنه من حليّ، دقة الصناعة وتطورها ورفعة الذوق لدى صائغ ذلك العصر كما تشير إلى الترف الذي كان متوفراً في داخل القصر الملكي العموري، إن حلياً تبهر الناظر تدل على الأصالة الجمالية التي كانت سائدة في ذلك العصر.

وتشير الطبقات السكنية في تل دينيت في العصور الأخمينية والهلينيسية والبيزنطية، وهذا نلاحظه في تل مريدخ وتل آفس وتل رفعت وتل عاص وتل حلف

## المراجع

هناك عدد كبير من المراجع التي تمت مراجعتها من أجل كتابة هذا البحث نذكر فيما يلي أهمها:

أولاً: حول تل دينيت وقميناس:

- 1 - شعث شوقي : تل دينيت (دائيت) وأهميته التاريخية. صورة من الحياة السياسية في سورية من القرنين الحادي عشر وأوائل الثاني عشر، الحوليات العربية السورية عدد، 32، 1982.
- 2 - شعث شوقي : علب حجرية من سوريا الشمالية محفوظة بالمتحف الوطني بحلب، ومنها واحدة من تل دينيت، الحوليات العربية السورية (العدد القادم).
- 3 - شعث شوقي : النقود اللاتينية اليونانية المكتشفة بتل دينيت، الحوليات العربية السورية (26) 1976.
- 4 - شعث شوقي : وسيثي ماسودا: قميناس، موقع من العصر الحجري الحديث، الحوليات العربية السورية، 1981.
- 5 - شعث شوقي : الاختتام المسطحة المكتشفة في تل دينيت، بحث أعد ليقدم إلى الأستاذ الدكتور عبد الكريم غرابيه بمناسبة بلوغه السبعين (قيد الطبع).

- 6 - Shaath Shawqi : Tell Deinit, Archaeological Discoveries, unpublished Dissertation, 1978.  
 7 - Shaath, Shawqi : Three New Steatite Pyxides From Northern Syria in the Aleppo Museum .  
 Mesopotamia vol. 21, Studies in Honour of Prof. Edith Porada.  
 8 - Shaath, Shawqi : Athenian Coins From Tell Deinit in Northern Syria, DMI, 1983.  
 9 - Shaath, Shawqi : Tall Dénit, Afo, Band XXVIII 1981/82.  
 10 - Masuda S. and Shaath Shawqi : Ominas, A Neolithic Site, AAS (1982).

#### ثانياً: حول ايبلا وتل طوقان:

- 11 - ماتييه باولو وآخرون : مملكة ايبلا وعلاقتها الدولية في الألف الثالث قبل الميلاد، جامعة روما، 1983 تعريب قاسم طوير.  
 12 - بهني عفيف : وثائق ايبلا وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1984.  
 13 - شعث شوقي : حضارة ايبلا، التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، 1980.  
 14 - الآثار السورية ، سورية ملتقى الشعوب والحضارات:  
 وهو عبارة عن الترجمة العربية لدليل معرض الآثار السورية الذي أقيم في ألمانيا الاتحادية تحت عنوان  
 «أرض بعل» وقد نقله إلى العربية الدكتور نايف بلوز بإشراف الدكتور عفيف بهني المدير العام للآثار  
 والمتاحف في الجمهورية العربية السورية، فيينا 1985.  
 15 - طوير قاسم : ايبلا دليل أثري، مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف دمشق، 1982.  
 16 - Archi Alfonso : The Royal Archives of Ebla, in Ebla to Damascus, 1980.  
 17 - Matthiae P. (ed.) Seb 1 - V 1979 - 1982.  
 18 - Matthiae P. Ebla, An Empire Rediscovered, 1980, Hodder and Stroughton Ltd.  
 19 - Matthiae P. I tesori di Ebla, Laterza, 1985.  
 20 - Matthiae P. (ed). Ebla to Damascus, Art and Archaeology of Ancient Syria, 1980.

#### ثالثاً: تل آفس:

- 21 - Mazzoni Stefania, Tel Afis: Seminario, 1987 Egitto et Vicino Oriente X (1987).

#### رابعاً: تل المسطومة:

- 22 - Egami N. : and Masuda S., Tell Mastuma Excavation in Idlib District, Syria 1982, Tokyo 1984.  
 23 - Egami N. : Archaeological Research in Idlib region, AAS. Vol. 1983.

ترجمها أي المقالة الأخيرة، إلى اللغة العربية الدكتور شوقي شعث ونشرت في الحوليات العربية السورية مجلد 1983.